مقابلة

كارول سلوم
carolsalloum11@gmail.com

لبنان وحاضرة الفاتيكان.. عقود من العلاقات التاريخيّة والفرصة لترسيخها

حافظ لبنان على علاقة مميزة مع الكرسي الرسولي الذي شكلت المواقف الصادرة عنه مثابة الرافعة له. وفي احلك الظروف، لم يتراجع الفاتيكان عن دعم استقرار لبنان وازدهاره. جاءت زيارة رئيس الجمهورية العماد جوزف عون الى حاضرة الفاتيكان ولقاؤه قداسة الحبر الاعظم البابا لاون الرابع عشر لتعزز التأكيد على ان هذه العلاقات راسخة وقوية

"الامن العام" التقت مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الكرسي الرسولي الدكتور ناجي قزيلي.

■ متى بدأت العلاقة بين لبنان والكرسي الرسولي؟

□ تعود الى فترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في العام 1945، وقد انتهت هذه الحرب بدمار هائل في اوروبا وخسائر بشرية كبيرة، ولكن نحن في لبنان قد نلنا استقلالنا في العام 1943. وبدأ التفكير عندها اننا يجب كأول دولة عربية وشرق اوسطية تحصل على استقلالها انشاء علاقات ديبلوماسية مع الكرسي الرسولي. عندما انشئت هذه العلاقات، كان الصحافي شارل حلو اول وزير مفوض يملك الصلاحيات الكاملة وسمي سفيرا لاحقا. وقد توجه الى الكرسي الرسولي مسلحا بأمرين: الايمان والالتزام المسيحي العميق والتربية اللاهوتية القائمة على الفكر اللاهوتي المعاصر وفي الوقت نفسه كان صحافيا متابعا للوضع في لبنان، وعندما توجه الى الكرسي الرسولي التقى البابا بيوس الثاني عشر الذي كان شخصية مهمة ومنتخبا من امانة سر دولة الفاتيكان. وتعرف حلو على شخصية مهمة جدا وهو الكاردينال مونتيني الذي اصبح لاحقا البابا بولس السادس. بفضل هذه العلاقة، ظهر الحرص من الفاتيكان على ان تكون للبنان مكانة مهمة داخل الكرسي الرسولي نظرا لما يمثله، فهو اول دولة نالت استقلالها في الشرق ورئيس هذه الدولة هو رئيس المسيحي الاوحد في الشرق الاوسط فضلا عن ان لبنان دولة قائمة على التعددية وفكرة التعددية جديدة وغريبة ولم يكن العالم وقتها منفتحا، فالأمور الغنية في لبنان اصطحبها الرئيس حلو معه الى الكرسي الرسولي مع العلم ان لبنان كان يعيشها على مدى قرون ومن دون حروب. انطلاقا من هنا، بدأت العلاقة وتوطدت وقد تعمقت اكثر فاكثر لدى عودة حلو كسفير مفوض من الفاتيكان وانتخب رئيسا للجمهورية. شاءت الصدف ان تكون الفترة التي انتخب فيها حلو هي الفترة نفسها التي انتخب فيها الكاردينال مونتيني واصبح البابا بولس السادس وكان صديقا للرئيس حلو، وهذا الامر ساهم في توطيد العلاقة الديبلوماسية بين لبنان والكرسي الرسولي. وبفضل جهود الرئيس حلو وقتها، كان البابا بولس السادس اول بابا معاصر يخرج من الكرسي الرسولي ويقوم بزيارات رسولية ويتوقف في لبنان.

■ هل يمكن الحديث عن العلاقات الديبلوماسية بين لبنان وحاضرة الفاتيكان؟

□ اولا، لا بد من لفت النظر الى الدور الذي لعبه البابا بنديكتوس الخامس عشر والكادرينال غاسباري في تشجيع فكرة انشاء لبنان الكبير. عندما يحكى عن دولة لبنان الكبير، تتم الاشارة الى دور فرنسا وبريطانيا ويتم تجاهل دور الكرسي الرسولي، علما ان تأثيره في ذلك كان قويا وكان من ابرز الداعمين لهذه الفكرة. فمن خلال تأثير البطريرك الحويك والضغوط التي مورست من الكرسي الرسولي تم انشاء دولة لبنان الكبير. عندما ذهب الوفد اللبناني الثالث برئاسة المطران خوري بطلب من البطريرك الحويك، وجد الاخير ان الفرنسيين لن يلتزموا الوعود التي قدموها تجاه انشاء لبنان الكبير، عندها عاد المطران خوري ومعه خارطة لبنان الكبير. قبل تسليمها الى البطريرك الحويك مر على الفاتيكان والتقى البابا بنديكتوس الخامس عشر واطلعه على الخارطة، وقد كتب البابا بنديكتوس الخامس عشر وقتها حملته الشهيرة: "نحن في السلطات المعطاة لنا كخليفة للقديس بطرس نبارك للبنانيين مسيحيين ومسلمين تحقيق امانيهم نتيجة نضالهم." ثم منح بركته لهذا الوطن ونتحدث هنا تحديدا عن آب 1920 اي قبل اعلان لبنان الكبير في الاول من ايلول من العام نفسه.

■ كيف اثرت العلاقة مع الكرسي الرسولي على الواقع اللبناني؟

□ في العلاقة الوطيدة التي بناها البابا بولس السادس مع الرئيس حلو، هناك امر يجدر التوقف عنده وهو ان البابا بولس السادس رافق لبنان في فترة ازدهاره وعندما توقف في مطار بيروت في خلال زيارته الى مومباي في الهند لترؤس مؤتمر قرباني وبناء على دعوة الرئيس حلو، كان في استقباله جميع اركان الدولة اللبنانية وممثلو جميع الكنائس، فضلا عن حشود شعبية. نتحدث هنا عن العام 1964 ولاحقا عندما اندلعت الحرب في العام 1975، رافق البابا بولس السادس لبنان في بدايات الحرب. في كل المواقف الصادرة عن الباباوات وكبار المسؤولين في الكرسي الرسولي منذ اندلاع الحرب في لبنان الى اليوم، لم يذكر الكرسي الرسولي كلمة الحرب الاهلية اي ما من مرة قال انها حرب بين المسلمين والمسيحيين. وحتى في ايام البابا يوحنا بولس الثاني، كان يقول ان ما يجري في لبنان هو تدخلات اجنبية تريد القضاء على ما يمثله لبنان وفكرة لبنان وهذا الكلام هو للباباوات، حيث كانوا يقولون ان هذه التدخلات تريد حذف لبنان من الحضور الدولي. ان البابا بولس السادس، ولاحقا البابا يوحنا بولس الثاني، استخدما عبارة مهمة لم تكن موجودة في اللغة الإيطالية: ماذا هناك في لبنان، وهي "كونفيفنسا" مؤلفة من كلمتين "كون" تعني معا و"فيفنسا" العيش بهناء اي العيش معا بهناء. لذلك

مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الكرسي الرسولي الدكتور ناجي قزيلي.

> **الرئيس شارل حلو كان اول المساهمين في توطيد العلاقة بين لبنان والفاتيكان**

لم يستخدم الكرسي الرسولي في اي مرة من المرات كلمة العيش المشترك.

■ اذا، هذه هي النقلة النوعية التي اتسمت بها العلاقة بين لبنان والكرسي الرسولي؟

□ نعم، لا يمكن ان ننسى انه عندما حضر السينودوس الخاص من اجل لبنان كانت نظرته تشير الى انه ربما فرضت على اللبنانيين حلول خارجية، انما لا بد من اسمع نظرة اللبنانيين الى الحل لما يعانون منه. عندما انجز السينودوس الخاص من اجل لبنان كانت هناك اسئلة في الكنيسة عن الدوافع التي املت على البابا القيام بذلك لدولة بالكاد ظاهرة في خارطة العالم وهناك امور اخرى تستدعي منه اهتماما اكبر. لم يكن هذا السينودوس مقتصرا على الموازنة او الكاثوليك انما دعي له الكنائس الارثوذكسية وممثلون عن المسلمين السنة والشيعة والدروز الذين كانوا حاضرين والقوا كلمات وعبروا عن رأيهم. لقد جمع البابا كل هذه الامور في الارشاد الرسولي الذي وقعه في لبنان.

■ كيف تم استكمال هذا الاحتضان البابوي مع البابا بنديكتوس؟

□ استكمل مع البابا بنديكتوس حيث كانت النظرة اكبر. كان البابا يوحنا يركز على لبنان بشكل اكبر، اما البابا بنديكتوس فاعتبر ان لبنان بموقعه مهم جدا انما في اطار اشعاعه على منطقة الشرق الاوسط كلها، واصر على ان يوقع الارشاد الرسولي في لبنان، وكانت هذه الزيارة الرسولية هي الاخيرة له قبل تقديم استقالته. كان لبنان يمر بظروف امنية، لكن البابا بنديكتوس كان حريصا على القيام بها لتوقيع الارشاد الرسولي في لبنان ووقتها طلبت دولا كثيرة ان يوقعه لديها، وانما اصر على توقيعه في لبنان، للقول ان الكنيسة في لبنان هي ضمانة مسيحيي الشرق ولبنان هو ضمانة الشرق.

■ هل شهد دور الفاتيكان في لبنان تراجعا منذ ذلك الحين؟

□ ديبلوماسيا، كان الفاتيكان يولي اهمية للعلاقات الديبلوماسية مع لبنان. اذا ما تم استرجاع اسماء السفراء البابويين في لبنان، نلاحظ ان الكرسي الرسولي كان يرسل دائما النخب الى لبنان. في الحرب التي مررنا بها، كان سفراء الدول العربية والاجنبية يغادرون لبنان بسبب الاوضاع باستثناء السفير البابوي الذي كان يبقى لكي يقول انه يمثل الحبر والاعظم وانه الى جانب اللبنانيين بكل طوائفهم. ◄

في اثناء الحرب اللبنانية، عندما بدأ المشروع يتضح لجهة ان هناك سياسات دولية تريد تقسيم لبنان، ارسل البابا يوحنا بولس الثاني المونسنيور بويغاز الى منطقة جزين للقول ان جذور المسيحية تبقى على مستوى امتداد الجنوب والشوف. إذا بقي لبنان بوحدة اراضيه وعلى الرغم مما مررنا به، فالفضل يعود الى الحبر الاعظم والكرسي الرسولي، لأن بقية الدول كانت اما مع تقسيم لبنان او توزيع حصص منه على الدول المجاورة، او حل مشكلة الشرق الاوسط على حساب لبنان، في حين ان لا مصالح سياسية لدى الكرسي الرسولي. بالنسبة الى دور البابا فرانسيس، من المعلوم انه اتى من خلفية جغرافية بعيدة من الارجنتين. في اول مرحلة من حبريته، لم تكن هناك من اهمية معطاة للبنان، والسبب يعود بشكل اساسي الى السلطة المدنية وفق ما تسمى باللغة الديبلوماسية للكرسي الرسولي في لبنان كما السلطة الروحية. حاول البابا فرانسيس لفت النظر الى هذا الامر، اذ ان طريقة التعاطي مع الكرسي الرسولي كانت تثير التساؤل

"البابا بنديكتوس الخامس عشر والكادرينال غاسباري شجعا فكرة انشاء لبنان الكبير"

ولاحظ انه على الرغم من كل خطاباته، لم تتبدل الامور. ووجد ان هناك مشاكل كبرى على صعيد وضع المسيحيين وهم مهددون على مستوى الشرق الاوسط كله، لذا اعطى اهمية لهذا الموضوع ونلاحظ انه في المرحلة الاولى من حبريته قام بزيارات شرق أوسطية. من هنا اتت زيارته الى العراق وتوقيعه وثيقة الاخوة الانسانية مع سماحة شيخ الازهر في الامارات، علما ان البابا فرانسيس قال لدى عودته من البحرين انها منفذة في لبنان وذلك ردا على سؤال عن كيفية وماهية تطبيقها. في المرحلة الثانية من حبريته وبعد الانهيار الاقتصادي في البلد وانفجار مرفأ بيروت، بدأنا نلاحظ اهتماما اكبر واقوى من الكرسي الرسولي وتحديدا من البابا بلبنان، فاتت نداءاته من اجل لبنان وكلامه لسكان بيروت لجهة التمسك بأرضهم ومنازلهم وكلامه الى الشباب للمحافظة على جذورهم.

■ ماذا عن اليوم مع قداسة البابا لاون الرابع عشر؟

□ نحن اليوم امام مرحلة مهمة وفرصة، اذ لدينا حبر اعظم جديد قادم من خلفية جغرافية بعيدة. صحيح انه كان رئيس دائرة في الفاتيكان لكنه كان رئيس دائرة الأساقفة، وبالتالي فان الملفات السياسية والاجتماعية لم تكن بين يديه وليس على اطلاع بها والفرصة مهمة في لبنان لأن هناك عهدا جديدا ورئيسا جديدا اي سلطة مدنية جديدة. لا بد من اعادة النظر في الاخطاء التي حصلت في العلاقة بين لبنان والكرسي الرسولي لكي نصوبها. هناك فكرة خاطئة في لبنان لأن ثمة من يعتبر ان الكرسي الرسولي لا يؤثر وهو مكان للصلوات، كما ان هناك فكرة خاطئة مفادها ان الفاتيكان سيفعل ما نقوله له. لا بد اولا من الخروج منهما والتفكير بتوطيد العلاقة من جديد مع الفاتيكان انطلاقا مما كانت تتميز به من صلابة. هذا يتطلب فضلا عن الرؤية والقناعة ارسال سفراء يدركون عمق العلاقة بين لبنان والكرسي الرسولي والعمل لخدمة هذه العلاقة لمصلحة لبنان.

■ ما هو دور مستشار رئيس الجمهورية لدى الكرسي الرسولي؟
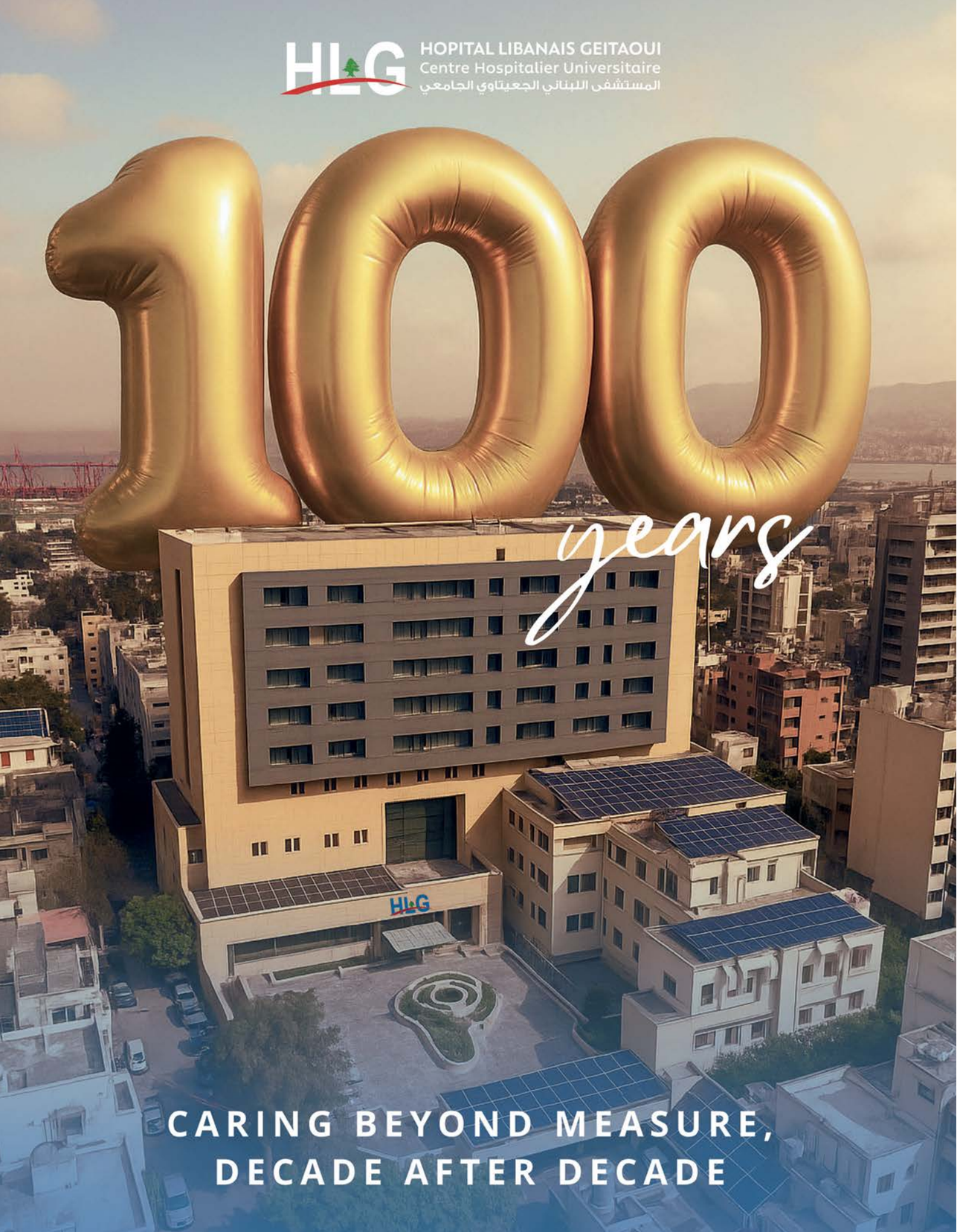
□ انها المرة الاولى التي يعين فيها رئيس الجمهورية مستشارا لشؤون الكرسي الرسولي، وهذا يدل على ان الرئيس جوزف عون يريد ان تكون هذه العلاقة وطيدة وقائمة على اسس واضحة وراسخة وايمانية.